عدد اوراق ٢٤

كتاب في ذكر النيل وما يتعلق به

تاليف الامام العالم العلامة
الرحلة الفهامة شهاب الملة
والدين احمد بن العماد الشافعي
تغمده الله تعالى برحمته
واسكنه فسيح جنته
ونفعنا ببركته
بمنه وكرمه
انه على كل
قدير
امين

ويليه كتاب الاربعين حديث النبوية تاليف الامام
في فضل قضا الامة المحمدية
الى سعيد الخدري رضي الله عنه

ويليه تعقيبة المنظومة لابي عبد الله
ابراهيم بن علي الشيباني رحمه الله

كتب برسم ... مصطفى ... ٢١٩ غرة شهر صفر الخير

٢٠٧
٤٨٨١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة توجب
العافية لحميده واشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله
الى الامة الشهيده والى ساير الفرق القريبه والبعيده
فبلغ الرسالة وادى الامانه ودعا الى الله عبيده ونسال
الله من فضله ان يجعلنا من الامة السعيده ولا يجعلنا من الفرق
البعيده وبعد فقد روي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اربعة لا تشبع من اربع عين من نظر وانثى من ذكر
وارض من مطر وعالم من خبر ولما كان اقليم مصر مشتملا على
فوايد عجيبه وامور غريبه استخرت الله تعالى في ان
اجمع فيها من نفيس الغرايب ما لا ينبغي لذوي العلم اهمالها
ولا لساكن مصر الا معرفتها واتقانها وكيف وقد ظهر اوانه من اهم
لو سيل عن نهر النيل من اين يخرج من الارض وفي اي مكان يذهب
ولو سيل عن طوله وعن سبب تكدره وخضرته في وقت الزياده
ومن اين عدم الزياده وفي اي مكان تذهب زيادته اذا انقص
لما اجاب بحرف كذا وانا ان شا الله تعالى ابين الجميع ذلك قاصداً
فيه الاختصار وقبل الشروع في ذكر الغرض لما يدل على فضيلة هذا
النهر على غيره من انهار الدنيا وبيان ذلك في فصلين الاول في بيان فضله
وقد

وقد ورد فيه ايات واحاديث اما الايات فمنها قوله تعالى
وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان
والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال البغوي في تفسير هذه الانهار
الاربعه تخرج من نهر الكوثر قال كعب الاحبار انا نهر مصر
دجلة نهر ما اهل الجنه ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم
ونهر سيحان نهر عسلهم ونقل ابن زولاق في تاريخ مصر عن كعب
الاحبار ان نهر مصر نهر العسل في الجنه والفرات نهر الخمر وسيحان نهر الما
وجيحان نهر اللبن وفي حديث الاسرا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثم انتهيت الى سدرة المنتهى فرايت اربعة انهار تخرج من
اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت يا جبريل ما هذه
الانهار قال اما النهران الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران
فالفرات والنيل قال النووي في شرح مسلم قال مقاتل الباطنان
هما السلسبيل والكوثر قال قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث
يدل على ان اصل سدرة المنتهى في الارض لخروج النيل والفرات من اصلها
ثم تسير حيث اراد الله حتى تخرج من الارض وتسير فيها وهذا لا
يمنعه عقل ولا شرع وهو ظاهر الحديث فوجب المصير اليه والله اعلم
وما ذكره النووي هو الصواب فقد ذكر البغوي في سورة النجم
ان سدرة المنتهى هي شجرة طوبى وذكر في سورة الرعد في قوله تعالى
طوبى لهم ان طوبى شجرة اصلها في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وان ما من

مصر

بيت في الجنة الا وفيه غصن منها وقال ابن زولاق في تاريخ
ان النيل يجري من تحت سدرة المنتهى وانه لو تفقدت اثاره لوجد
في اول جريانه ندا وراق الجنة قال ولذلك يذهب الى اكل البلطي
من السمك لانه يتبع اوراق الجنة فيرعاها ويشهد لصحة ما ذكره
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالحيزوم فانه
يرعى من حشيش الجنة وذكر بعضهم ان سائر مياه الارض وانهارها
تخرج اصلها من تحت الصخرة بالارض المقدسة والعلم عند الله تعالى
فائدة طوبى وزنها فعلى مشتقة من الطيب واصلها طيبى وقعت الياء
بعد ضمة فقلبت واوا قال ابن جني حكى ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني
في كتابه الكبير في القراات قال قرا علي اعرابي بالحرم طيبى لهم وحسن
مآب فقلت له طوبى فقال طيبى فاعدت عليه فقلت طوبى فقال
طيبى فقلت طوبا فقال طيبا فلما طال علي فقلت طوطو فقال طيطي
وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى طسم ان الطا شجرة طوبى
وان السين سدرة المنتهى وان الميم محمد صلى الله عليه وسلم وهو يدل على
ان شجرة طوبى غير سدرة المنتهى والله اعلم قال سعيد بن جبير طوبى
اسم الجنة بالحبشة وسميت شجرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي اليها
ولا يعلم ما فوقها الا الله عز وجل وعن اسما بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر سدرة المنتهى
فقال يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فيها فراش من ذهب

وفي رواية في ظل الفنن منها
والفنن بنونين الغصن وفي
القران العظيم ذواتا افنان اي اغصان

كان

والثمار

كان ثمارها القلال قال مقاتل شجرة المنتهى تحمل الحلي والحلل
من جميع الالوان لو ان ورقة وضعت منها لاضاءت لاهل الارض
وفي جامع الصحاح عن الليث قال شجرة المنتهى في السماء السابعة
لا يتجاوزها نبي ولا ملك قد اظلت السماء والجنة ومنها قوله تعالى
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
اجاج وقوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات
وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا واصل المرج
الخلط يقال للزجاج اذا خلى الشي حتى اختلط بغيره قد مرجه ومرج
البحرين خلى سبيلهما حتى اختلطا وامر مريج مختلط والعذب الحلو والفرات
اعذب العذوبة والملح المالح والاجاج املح الملوحة ويقال ملح
وهو الاشهر وبه جا القران ومالح لغة قليلة قال الشاعر
بصرية تزوجت بصريا ۞ يطعمها المالح والطريا
وقال اخر
ولو تفلت في البحر والبحر مالح ۞ لاصبح ما البحر من ريقها عذبا
وسمع من العرب اما انا فلا اصبح بمالح اي لا انتفع به ولا اصل
واصل البرزخ الحاجز بين الشيئين ليمتنع من وصول احدهما الى
الاخر ومنه قوله تعالى ومن ورائهم برزخ اي حاجز يمنعهم من
الرجوع الى الدنيا والحاجز بين البحرين حاجز قدرة لان البحر العذب
ينصب في الملح ولا يختلط احدهما بالاخر بل يسامت كل منهما متميزا
عن الاخر مسافة طويلة ثم بعد ذلك يخوض بحر النيل في الملح ولا

يختلط به بل يجري تحته متميزا عنه كالزيت مع الما ولهذا يظهر
لراكب البحر في بعض المواضع فيستقون منه للشرب وذلك في اماكن
معروفة **وقوله** تعالى وحجرا محجورا اي حراما محرما اي لا يختلط هذا
بهذا او هذا بهذا واصل الحجر المنع ومنه سمي العقل حجرا لانه يمنع
صاحبه من تعاطي القبائح وما لا يليق قال تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر
اي عقل ومنه قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا
يبغيان اي لا يغلب الملح على العذب فيفسد حلاوته ولا يبغي العذب على
الملح فيفسد مرارته ولهذا اخذ الشاعر في قوله شعر

وبامر البحران يلتقيان لا يبغ ملح على عذب بمرور اجاج

وقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان فاللولو ما عظم من
الجواهر والمرجان ما صغر قال الواحدي فان قيل كيف قال
يخرج منهما اللولو والمرجان وهما لا يخرجان الا من احدهما وهو البحر الملح
فالجواب من ثلاثة اوجه احدها قال الثعلبي ان الاصل يخرج من
احدهما ثم حذف المضاف وانفصل الضمير واتصل بمن فصار منهما وقال
غيره ان البحرين لما صارا واحدا بالتقائهما صح عود الضمير عليهما وصح ان
يقال يخرج منهما وقال بعضهم بل الصدفة تعلو على وجه الما متفتحة في
وقت المطر فاذا وقع فيها قطر الما انطبقت وغاصت في البحر فما وقع
فيها قطرة واحدة تربت جوهرة كبيرة وتسمى عندهم الدرة اليتيمة فان
عظمت ما رتب صدفا وما وقع فيه اكثر من قطرة تربى فيها بعدد
القطر

القطر من الجواهر وذلك اللالي الصغار فعلى هذا يكون الاسناد
اليهما حقيقة لان قطر المطر يكون كاللقاح للصدف وتربيته
في البحر ومنها قوله تعالى حكاية عن فرعون لعنه الله قال يا
قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي قال صاحب
الفتوح المراد بالانهار النيل قال وكان النيل على ايام فرعون
مقسوما على انهر وجداول وكانت ارض مصر كلها تروى في ستة
عشر ذراعا وكانت ارض مصر وبناؤها مرتفع على جداول
وانهر تجري تحتها من البحر وهو قوله تعالى وهذه الانهار تجري من تحتي
وقال تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون الاية وفي قوله تعالى
قد جعل ربك تحتك سريا اي امامك وبين يديك وقد قيل انما قيل له
هنا والسري النهر الصغير **واما** الاحاديث فمنها ما سبق ومنها ما
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل نيل مصر خير انهاري
اسكن عليه خيرتي من عبادي فمن ارادهم بسوء كبتهم من ورائهم اورده ابن
زولاق **قال** الكندي وروي عن عقبة بن مسلم يرفعه ان الله تبارك وتعالى
يقول يوم القيمة لساكني مصر الم اسكنكم مصر وكنتم تشبعون من مائها
قال وسال معاوية بن ابي سفيان كعبا فقال اسالك بالله العظيم هل تجد
لنيل مصر ذكرا في كتاب الله عز وجل التورية فقال اي والذي فلق البحر
لموسى اني لاجد في كتاب الله يعني التورية ان الله يوحي اليه عند ابتدائه
ان الله يامرك ان تجري على كذا فاجر على اسم الله ثم يوحي اليه عند انتهائه

انهما
ان الله يامرك ان ترجع فارجع راشدا يعني يوحي اليه عند
النقص والزياده قال المسعودي وليس في الدنيا نهر يسمى بحرا
ويما غير النيل لكثرة استبحاره واشار الى قوله فالقيه في اليم قال
ابن عباس يريد النيل وذلك انها جعلته في تابوت والقته في النيل فحمله
الموج الى دار فرعون فاخذه ورباه صغر الامر براد قال وليس في
الدنيا نهر يزيد بالترتيب وينقص بترتيب غير النيل قال الكندي
وروي ان الله تعالى خلق نيل مصر معادلا لجميع انهار الدنيا ومياهها
فجعل يبتدي في الزياده تنقص كلها لمادته وذكر ابو قبيل ان نيل
مصر في زيادته يعود كله من اوله الى اخره وهذا هو السبب في تكدره
لان العيون اذا انبعث من الارض اختلطت بالطين فجاز نبعها
فتكدرت قال واجمع اهل العلم على انه ليس في الدنيا نهر اطول
مدا من النيل يسير مسيرة شهر في الاسلام وشهرين في النوبة واربعة
اشهر في الخراب الى ان يخرج من جبل القمر خلف خط الاستوا
وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والصين غير نيل مصر وليس في
الدنيا نهر يزيد ويمد في اشد ما يكون من الحر حين تنقص انهار الدنيا
وعيونها غير بحر النيل وكلما زاد الحر كان اوفر لزيادته وليس في الدنيا
نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ولا يجبا من خراج نهر من انهار
الدنيا ما يجبا من خراج النيل وليس في الدنيا نهر ينبت عليه القمح
البوسني غير النيل قال الكندي وولي ابن الحبحاب خراج مصر
لامير

لامير المومنين هشام فخرج بنفسه فمسح ارض مصر التي تروي
بالنيل عامرها وخرابها فوجد فيها ما يصلح ثلثين الف الف فدان
قال ابن لهيعه كان لنيل مصر قطيعه على كورة مصر عشرون ومائة
الف رجل معهم المساحي والاله سبعون الفا للصعيد وسبعون
الفا لاسفل الارض لحفر الخليج واقامة الجسور والقناطر وسد
الترع وقلع القصاب والحلفا وكل نبت يضر بالارض وقال
محفوظ بن سليمان اذا تم الماء ستة عشر ذراعا فقد وفا خراج
مصر فان زاد الماء ذلك ذراعا واحدا انتقص مائة الف لما
يستبحر من البطون وقال المسعودي يبتدي نيل مصر بالتنفس
والزيادة بقية بؤونه وابيب ومسرى واذا كان الماء زايدا
زاد شهر توت كله فاذا انتهت الزيادة الى ذراع ستة عشر ففيه
تمام الخراج الذي للسلطان وخصب الناس وفيه ظما ربع للبهائم
لعدم المرعى والكلا واتم الزيادة العامه النافعه للبلاد كلها
سبعة عشر ذراعا وفي ذلك كفايتها وري جميع ارضها واذا
زادت على السبعة عشر ذراعا وبلغت ثمانية عشر واقاضتها
استبحر من مصر الربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجوه
الاستبحار وغير ذلك واذا كانت الزيادة ثمانية عشر كانت
العاقبة في انصرافه حدوث وبا بمصر قال ومساحة الذراع الى
ان يبلغ اثنا عشر ذراعا ثمانية وعشرون اصبعا ومن اثني عشر

ذراعا الى ما فوق يصير الذراع اربعة وعشرين اصبعا واقل
ما يبقى في قاع المقياس من الما ثلاثة اذرع وفي مثل تلك السنة
يكون الما قليلا والاذرع التي يستسقى عليها بمصر ذرعان يسمى منكر
ونكير وهي ذراع ثلاثة عشر ذراعا وذراع اربعة عشر ذراعا
فاذا انصرف الما عن هذين الذراعين وزاد نصف ذراع من خمسة
عشر استسقى الناس بمصر وكان الضرر شاملا لكل البلد اذ الى
ان ياذن الله في زيادة الما واذا دخل الما في ستة عشر كان فيه
صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصان خراج
السلطان قال وكانت مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا وكانت
فيما يذكر اكثر البلاد جنانا وذلك ان جنانها كانت متصلة على حافتي
النيل من اوله الى اخره من جنادل اسوان الى رشيد وكان الما اذا بلغ
في زيادته تسع اذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج
سردوس وكان الذي ولي حفر خليج سردوس لفرعون لعنه الله
هامان عدو الله واما خليج الفيوم وخليج المنهى فان الذي
حفرهما يوسف بن يعقوب عليهما قال الكندي ولما اهدى
المقوقس صاحب مصر الى النبي صلى الله عليه وسلم شيا باوكراعا واختير
من القبط مارية واختها واهدى اليه عسلا وغير ذلك فقبل هديته
وتسرى بمارية فاولدها ابراهيم واهدى لختها لحسان بن ثابت
الانصاري

الانصاري فاولدها حسان ابنه عبد الرحمن بن حسان
وسال صلى الله عليه وسلم عن العسل الذي اهدي له من
اين هذا العسل فقيل له من قرية يقال لها بنها فقال اللهم
بارك في بنها وفي عسلها اتفقوا على ان عسل مصر اطيب
وشاوها اطيب ولحمها اطيب وجبنها اطيب وبهذا فضلت مصر
على الشام لان هذه الثلاثة هي عماد الحياة فجميعها افضل من جميع
الشام وكذا لحمها وماوها وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
انه قال دعا نوح عليه السلام لمصر بن بيصر بن حام بن نوح وبه سميت
مصر وهو ابو القبط فقال اللهم بارك فيه وفي ذريته واسكنه
الارض المباركة التي هي ام البلاد وغوث العباد التي نهرها
افضل انهار الدنيا وفي بعض التفاسير في قوله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي
باركنا حوله ان المراد بالمكان المذكور المبارك فيه حول المسجد
الاقصى مصر ولكن الاية اعم من ذلك لان الله تعالى بارك لاهله
فيما حوله من معايشهم وانبايهم وبارك فيه بدفن الانبيا والصالحين
وغير ذلك وذكر الثعلبي في قصص الانبيا ان جميع مياه الارض
تخرج اصلها من تحت الصخرة وقال في قوله تعالى اذ اخرجني
من السجن وجا بكم من البدو ان البدو ارض الشام قال ابن
زولاق كان بمصر من الانبيا عليهم الصلاة والسلام ابراهيم

الخليل واسماعيل ويعقوب ويوسف بن يعقوب واثنى عشر
سبطا من اولاد يعقوب عليه السلام وولد جماعة من الانبيا
موسى وهرون ويوشع بن نون ودانيال وارميا ولقمان
وعيسى بن مريم وولدته امه باهناس المدينة المعروفة
وبها النخلة التي قال الله تعالى فيها وهزي اليك بجذع النخلة
تساقط عليك رطبا جنيا **وكان بمصر** من الصديقين مومن ال
فرعون والخضر ويقال والله اعلم انه ابن فرعون لصلبه امن
بموسى عليه السلام ولحق به وجعله الله تعالى نبيا وابيه
وبمصر مواضع شريفه منها الوادي المقدس ومنها الطور
وبها القى موسى عصاه وبها انفلق البحر لموسى وبها النخلة
التي امرت مريم بهزها وبها النخلة التي امرت مريم
بان تضع تحتها عيسى عليه السلام فلم يثمر غيرها وهي بالجيزة
وبها الجميزة التي صلى موسى عليه السلام تحتها بطرا **وقيل**
في قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه ايه واويناهما
الى ربوة ذات قرار ومعين ان المراد بالربوة البهنسه
قال ابو الحكم بن مفضل البهنسي في كتابه فضايل مصر
قال يحكى الصحيح ان الربوة التي اوي اليها المسيح وامه
بمدينة البهنسا في موضع يعرف الان بمسجد الديوان اوى
به هو وامه سبع سنين قال واما الربوة التي بدمشق
فموضع

فموضع مبارك بره مليح المنظر في لحف جبل وليست الربوة
التي ذكر الله عز وجل في كتابه لان عيسى عليه السلام ما دخل
دمشق ولا وطى ارض الشام قبل الربوة التي هي بمصر وقيل
هي الرمله **قيل** والنخلة التي كانت تنضح له الزيت بمدينة
اشمون مشهورة والنخلة التي اوت اليها امه بنشمنت
مشهورة مذكورة واقامت الحواريون معه بمدينة البهنسا
غير منكوره وبركة عيسى عليه السلام ظاهرة ببير البلسم
التي بارض المطريه ودعوته لاهل البهنسا مشهوره **قال**
وفي مصر الانبيا والمرسلون واولوا العزم المكلمون وابنا
الاسباط من بني اسرايل وذو القرنين والاسكندر
والحكما اليونانيون والفلاسفه المقدمون وذو الهيئة
والالة والمطلاسم والحركات والرصد والنجامات
والمساحات والخبر والمقابلات كهرمس وبقراط وجالينوس
وفيثاغورس والبوس وغير ذلك **قال** الكندي **قال** كعب
الاحبار من اراد ان ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا
اخرجت واذا ازهرت واذا اطردت انهارها وتدلت
ثمارها وفاض خيرها وغنت طيورها قال وقال عبد الله
ابن عمر من اراد ان ينظر الى شبه الفردوس فلينظر الى ارض مصر
تخضر زروعها ويزهر ربيعها وتكسى بالنوار اشجارها
وقال المسعودي في مروج الذهب وصف بعض الحكماء مصر

فقال ثلاثة اشهر لولوة بيضا وثلاثة اشهر مسكة سودا
وثلاثة اشهر زبردة خضرا وثلاثة اشهر سبيكة ذهب حمرا
فاما اللولوة البيضا فهي في شهر ابيب وهي ثور ومسري وتوت
يركبها الما فتري الدنيا بيضا واما المسكة السودا فانه في شهر
بابه تنكشف الارض فتصير ارضا سودا وتقع فيها الزراعات
وللارض روايح طيبة تشبه رايحة المسك واما الزبردة
الخضرا فان في شهر طوبه وامشير وبرمهات تطلع الارض ويكثر
عشبها ونباتها فتصير الدنيا خضرا كالزبردة واما السبيكة
الذهب الحمرا فان في شهر برموده وبشنس وبونة يبيض الزرع
ونور ذا العشب فتشبه الذهب في المنظر قال ووصف اخر مصر
فقال نيلها عجب وارضها ذهب وهي لمن غلب ملكها سلب
ومالها رغب وخيرها جلب وفي اهلها صخب وطاعتهم رهب
وسلمهم شغب وحربهم حرب ويعمرها النيل من سادات
الانهار واشرف الانهار لانه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به
الخبر الشريف قال وفي نيل مصر اعاجيب كثيرة من انواع
الحيوان منها التمساح وهو السمسار فلا يوجد الا بنيل مصر
وهو ياكل وبطنه كالجراب ليس له مخرج بل يتغوط
من فيه ذكره ابن الجوزي قال فاذا اكل وبقي الطعام
بين اسنانه تربى فيه دود فياتي الى شط البر فينام ويفتح
فاه

احسن
فاه فياتي طاير فيدخل فاه ويلتقط ذلك الدود فاذا
التمساح ان الدود قد فرغ طبق فمه على الطاير ليا كله
وجعل الله تعالى لذلك الطاير ابرتين من العظم في طرفي جناحيه
فاذا اطبق فمه عليه ضرب بهما في سقف حلقه فيفتح فاه فيخرج
الطاير قال المسعودي وخلق الله تعالى دويبة بنيل مصر
تعادي التمساح تتحفر له في الرمل في موضع يرقد فيه ويفتح
فاه لذلك الطاير فاذا فتح فمه وثبت ودخلت فيه ثم دخلت
الى جوفه فاذا دخلت جوفه اضطرب ونزل البحر فتاكل تلك
الدويبة احشاه وتخرق بطنه وفي ذلك هلاكه وفي كتاب
القزويني ان الذي يفعل ذلك بالتمساح هو كلب الما وذكر
المسعودي ان التمساح هو الورل وكذا قال الحموي في كتابه
التنويه فيما يرد على التنبيه وقال ان التمساح يبيض في البر
ويدفن بيضه في الرمل فاذا اخرج فرخه فما نزل البحر منه كان
تمساحا وما طلع البر واستمر فيه صار ورلا واذا صح ان الورل
فرخ التمساح اطرد فيه الوجهان في جواز اكل التمساح ومثل
الحكاية ذكر نظيرها عن ام طبق البحرية وهي اللجاة المسماة
عند العامة بالترسة قال الاخوان انها تبيض في البر وتغطي
بيضها بالرمل وتنزل الى البحر فتقعد له ايا ما وكذلك بعدها
التمساح لبيضه ثم تحفر عن البيض فيخرج الفرخ فما تبعها ونزل
البحر صار لجاه وما بقي في البر صار لحماه والسلحفاه اكلها حرام

وكذلك الترسة ونقل النووي تحريمها عن الاصحاب في شرح
المهذب في كتاب الحج لم يتعرض له الرافعي ولا اصحاب
الروضه وكثير من الناس ياكلونها وهو حرام نعم يجوز اكل
بيضها كما يجوز اكل بيض التمساح وبيض الغراب والحداه
على الصحيح في جميع ذلك لانه طاهر لا ضرر في اكله وليس
بمستقذر كذا جزم به القمولي في الجواهر والنووي في
شرح المهذب في باب البيع بانه علل جواز بيعه بانه
طاهر منتفع به ومنها السمكة المعروفة بالرعاده
وهي سمكة تخدر الذراع فاذا وقعت في شبكة الصياد
ارتعدت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى تحصيلها
ولو امسكها بخشبة او قصبة فعلت كذلك قال المسعودي
وقد ذكرها جالينوس وانها اذا جعلت على راس من به صداع
شديد او شقيقة وهي في حياتها هدا الساعة الفصل
الثاني في شان المكان الذي يخرج اصل النيل منه وفي
المكان الذي يذهب فيه وبيان سبب زيادته وفي المقاييس
المجعولة عليه وغير ذلك وقد تقدم انه يخرج من جبل القمر
على ما ذكره الكندي وذكره ايضا المسعودي وصاحب الا
قاليم السبعة قال انه يخرج اصله من جبل القمر من عشرة عيون
خمسة تجتمع في بطيحة وخمسة في بطيحة يعني مكانا منبطحا من
الارض ثم تجتمع بعد ذلك وذكر صورة جبل القمر وانه مقوس
وعلى

وعلى راسه شراريف هكذا وذكر
المسعودي في مروج الذهب ان الفلاسفة قالوا انه
يجري على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل الف فرسخ في
عامرها وخرابها من عمران وخراب حتى ياتي الى بلاد
السودان من صعيد مصر الى هذا الموضع تصعد المراكب
من فسطاط مصر وعلى اميال من اسوان جبال واحجار يجري النيل
في وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع
فارق بين مواضع سفن الحبشة في النيل وبين سفن المسلمين
ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ثم ياتي الفسطاط
فينقسم خلجانا الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والى اسكندرية
كل يصب الى جهته قال واصل النيل ومنبعه من تحت جبل القمر
ومبدا ظهوره من اثني عشر عينا وجبل القمر خلف خط الاستواء يعني
الذي يستوي فيه الليل والنهار واضيف الى القمر لانه يظهر
تاثيره فيه عند زيادته ونقصانه بسبب النور والظلمة
والبدو والمحاق قال المسعودي فتنصب تلك المياه الخارجة
من الاثني عشر عينا من النيل الى بحيرتين هناك وهو معنى كلام
صاحب الاقاليم في بطيحة قال ثم تجتمع الماء منهما جاريا فيمر
برمال هناك وجبال ثم يخترق ارض السودان مما يلي بلاد
الزنج فينفتح منه خليج يجري الى بحر الزنج وهو جزيرة قنبلو
جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين الا ان لغتهم زنجية غلبوا

على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج كغلبة المسلمين
على الجزيرة وهي جزيرة اقريطش في البحر الرومي وذلك في مبدا
الدولة الاموية ومنها الى عمان في البحر من نحو خمسماية
فرسخ على ما يقوله البحريون وذكر جماعة انهم يشاهدون
في هذا البحر في الوقت الذي يذكر فيه زيادة النيل بمصر وقبل ذلك
بقليل كما يخرق هذا البحر ويشق قطعة منه من شدة جريانه
ويخرج من جبال الزنج عرضه اكثر من ميل مكدر في اوان الزيادة
بمصر وصعيدها قال وذكر الجاحظ ان نهر السند من نيل مصر
واستدل على ذلك بوجود التماسيح فيه قال المسعودي وكان
احمد بن طولون في سنة نيف وستين ومايتين بلغه ان رجلا
باعلى مصر من الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الانباط ممن
يشار اليه بالعلم وانه علامة بمصر وارضها من برها وبحرها
واجدادها واخبار ملوكها وانه ممن سافر الارض وتوسط
الممالك وشاهد الامم من انواع البيضان والسودان وانه
ذو معرفة بانواع هيئات الافلاك واحكامها فبعث اليه
احمد واخلى له نفسه في ليالي وايام كثيرة يسمع كلامه واخباره
وحكاياته فكان مما ساله عن طول الاحابيش على النيل
وممالكهم قال لقيت من ملوكهم ستين ملكا في ممالك مختلفة كل منهم
ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حارة يابسة قال ثم ما
منتهى النيل واعلاه قال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو
الارض التي الليل والنهار فيهما متساويان طول الدهر وهي تحت
الموضع

الموضع الذي تسميه المنجمون الفلك المستقيم وما ذكرته فمعروف
غير منكور انتهى كلامه **وقال** ابن زولاق في تاريخه ذكر عن
بعض خلفاء مصر انه امر قوما بالمسير الى حيث يجري النيل
فساروا حتى انتهوا الى جبل قال والماء ينزل من اعلاه له دوي
وهدير لا يكاد يسمع احد منهم كلام صاحبه ثم ان احدهم تسبب في
الصعود الى اعلا الجبل لينظر ما وراءه فلما وصل الى اعلاه رقص
وصفق وضحك ثم مضى في الجبل ولم يعد ولم تعلم اصحابه ما شانه
ثم ان رجلا منهم صعد لينظر صاحبه ففعل مثل الاول فطلع ثالث
وقال لاصحابه اربطوا في وسطي حبلا فاذا انا وصلت الى
ما وصلا اليه ثم فعلت كما فعلا فاجذبوني حتى لا ابرح من مكاني
ففعلوا ذلك فلما وصل الى اعلى الجبل فعل كفعلهما فجذبوه اليهم
فقيل انه خرس فلم يرد جوابا ومات من ساعته فرجع القوم
ولم يعلموا غير ذلك **فصل** في كورة سيوط وجبل ابي فايدة
الذي على النيل قال الكندي وعلى نهر النيل كورة سيوط ذكر انه
صور للرشيد صورة الدنيا فما استحسن منها غير كورة سيوط مساحة
ثلاثين الف فدان في دست واحد لو قطرت قطرة فاضت على
جميع جوانبه يزرع فيه الكتان والقمح والقرط وساير اصناف
الغلات فلا يكون على ساحة الارض بساط اعجب منه ويساير من
جوانبه الغربي جبل ابيض على صورة الطيلسان كانه قوز ويحف به

وجه ٦

من جانبه الشرقي النيل كانه جدول فضة لا يسمع فيه الكلام من كثرة
اصوات الطير **فصل** في الاهرام قال ابن زولاق ان هرميس
الاكبر وانه بنوا الهرمين وانهما جعلا عرض حايطهما ثلثمائة
ذراع بذراعهم قال وكانت الصابية تحج للاهرام ولما اتي
الطوفان لم يهدم منهما شيا ولكن ردم نكث البنا فقيل ان هذا الذي
بقي منهما لو بعض ما دفن وكانت الصابية منطوفة بهما ويقولون
يا ابا الهول اليك قد حججنا قال وسعة الهرمين اربعمائة ذراع
في ارتفاع مثلها احدهما قبر هرمس والاخر قبر تلميذه اغاذيمون
وكانا في سالف الدهر مستورين بالديباج قال المسعودي وسال
احمد بن طولون ذلك الشيخ عن بنا الاهرام فقال انها قبور الملوك
كان الملك منهم اذا مات وضع في حوض حجارة واطبق عليه ثم يبني له من
الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع
وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان والاقبا ثم يرفعون البنا هذا
المقدار الذي ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق
في الارض ويعقد ازج ويكون طول الازج تحت الارض مائة ذراع
واكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت
قيل له فكيف بنيت هذه الاهرام المملسة وعلى اي شي كانوا
يصعدون ويبنون وعلى اي شي كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة
التي لا يقدر اهل زماننا هذا ان يحركوا الحجر الواحد منها الا بجهد ولا
يقدرون على ذلك **فقال** كان القوم يبنون الهرم بدرج ذا
مراقي كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الي اسفل هذه كانت
حيلتهم

حيلتهم وكانوا مع هذا لهم قوة وصبر وطاعة لملوكهم
وثابتيه فقيل له ما بال هذه الكتابة التي على الاهرام
والبرابي لا تقرا قال دثر الحكما واهل العصر الذين كان هذا قلمهم
وتداول ارض مصر الامم فغلب علي اهلها القلم الرومي وذهبت عنهم
كتابة ابايهم وان من تلك الكتابة انا بنيناها فمن يدعي موازنتنا
في الملك او بلوغنا في القدر وانهنا ناس الملك والسلطان فليهدمها
وليزل رسمها فان الهدم ايسر من البنا والتفريق ايسر من التاليف وقد
ذكر ان بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فان خراج مصر وغيرها
من الارض لا يوافي بقلعها وهي من الحجر والرخام قال المسعودي
وساله عن مدينة العقاب فقال هي غربي اهرام بوصير الجيزة وهي
على خمسة ايام يهلك فيها الراكب المجد وقد عور طريقها وعمي وذكر ما فيها
من عجايب البنيان والجواهر والاموال وساله عن النوبة وارضها
فقال هم اصحاب ابل وبخت وبقر وغنم والاغلب من كويعوابهم
البراذين وربهم بالنيل عن فني عربيه وعنهم ليخذ الرنجي اهل الحجاز
واليمن وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم
النخل والكروم والذرة والموز والحنطة وارضهم كانها جزء من ارض
اليمن وللنوبة اترج كاكبر ما يكون بارض الاسلام وملوكهم من عرابها
من حمير وملكهم يستولي على معدي ونوبه وورا علوه امة عظيمة من
السودان تدعي بكنه وهم عراة كالزنج وارضهم تنبت الذهب
وفي مملكة هذه الامة يفترق النيل فيتشعب منه خليج عظيم ثم يخضر
الخليج من بعد انفصاله عن النيل ويخضر الاكثر الي ارض النوبة فاذا
بلاد

فاذا كان في بعض الازمنة انفصل الاكثر من الما في ذلك الخليج
وابيض الاكثر واخضر الاقل فيشق ذلك الخليج في اوديته وخلجانه
واعماق ناموسه حتى يخرج الى بلاد كلابس والجنوب وذلك ساحل
الزنج ومصبه في بحرهم انتهى كلام المسعودي ومنه يوخذ ان خضرة
النيل عند الزيادة تكون من خضرة ذلك الخليج لانه متصل به وسمعت
بعضهم يذكر ان في اعلا النيل بركة تنقطع عن النيل في اوان النقص فتخضر
لطول مكثها فاذا كان اوان الزيادة وزاد الما صب ماوها في البحر
فيخضر والله اعلم **فصل** واما الحايط الممتد بالجانب الشرقي من النيل
ذكر المسعودي انه لما اغرق الله تعالى فرعون ومن معه من الجنود خشي من
بقي بارض مصر من الذراري والنسا والعبدان ان يغزوهم ملوك
الشام والغرب فملكوا عليهم امراة ذات راي وحزم يقال لها
دلوكة فبنت على بلاد مصر حايطا يحيط بجميع البلدان وجعلت عليه
المحارس والاجراس والرجال متصلة اصواتهم تقرب بعضهم من بعض
واثر هذا الحايط موجود في هذا الوقت وهو سنة ثمانين وسبعمائة
ويعرف بحايط العجوز قال المسعودي وقيل انما بنته خوفا على
ولدها كان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال
من جاور ارضهم من الملوك واهل البوادي فحوطت الحايط من
التماسيح وغيرها وقيل غير ذلك فملكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر
البرابي والصور واحكمت الات السحر وغير ذلك **فصل**
في المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه قال
المسعودي رحمه الله سمعت جماعة من اهل الجيزة يخبرون ان يوسف
النبي

النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهرام اتخذ مقياسا لمعرفة
زيادة النيل ونقصانه وان ذلك بمنف وان دلوكة العجوز وضعت
مقياسا اخر بانصنا صغير الذراع ووضعت مقياسا اخر
ايضا بالصعيد ببلاد اخميم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجي
الاسلام ثم ورد الاسلام فكانوا يعرفون زيادة النيل ونقصانه
بما ذكرنا الى ان ولي عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا بحلوان
وهو صغير الذراع ثم اتخذ اسامة بن زيد التنوخي مقياسا
بالجزيرة وهي التي بين الفسطاط والجيزة وهذا المقياس الذي اتخذه
اسامة اكبرها ذراعا واتخذ ذلك في ايام سليمان بن عبد الملك وهو
المقياس الذي عليه العمل في وقتنا ومساحة ذراعه الى ان يبلغ اثني عشر
ذراعا ثمانية عشر ذراعا وعشرون اصبعا ومن اثني عشر ذراعا
الى ما فوق يصير الذراع اربعة وعشرين وفي هذه الجزيرة مقياس
اخر لاحمد بن طولون والعمل عليه عند كثرة الما وترادف الرياح واختلاف
مهابها وكثرة الموج **فصل** في زيادة النيل قال المسعودي
قالت العرب في النيل انه اذا زاد غاضت له البحار اي نقصت قال
الله تعالى وغيض الما اي نقص وذهب وقال تعالى وما تغيض الارحام
وما تزداد وغاضت له العيون والابار واذا غاض هو زادت
هي فزيادتها من غيضه وغيضه من زيادتها وقالت اهل الهند
زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالي الانوا وكثرة
الامطار وركوب السحاب وقالت الروم لم يزد قط ولا ينقص وانما

وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت وقال القبط
زيادته من عيون في شاطيه يراها من سافر ولحق باعاليه وقد
تقدم عن ابي قيل ان نيل مصر في زيادته يفور كله من اوله الى اخره
وحكى لي بعض من اقام بالحبشة ان الغمام والمطر يستمران عندهم
في ايام زيادة النيل بالبلاد ليلا ونهارا في اعلا النيل وان في بعض السنين
يكثر المطر جدا وفي بعضها يقل فيعرفون كثرة النيل بمصر وقلته
بسبب ذلك **فصل** في المكان الذي ينبعث منه ما النيل قال
الحكما انه يجري اذا انصب في بحر الملح انتهى فيه الى مواضع ثم يرتفع
بخارا ويجتمع في الجو فتحمله الغمام والريح الى الاماكن التي يريد الله تعالى بالمطر
فيها من ساير البلاد ولهذا تجد الاماكن القريبة من البحر اكثر مطرا
من غيرها ويشاهد الغمام قريبا من بحر الملح عند دمياط وغيرها مما
جاور البحر قالوا واذا وقع المطر في البلاد اتصل بالبحر من عيون
وغيرها حتى ينتهي الى البحر ايضا ثم يصير مطرا كما سبق وهذا قد
اشار اليه الزمخشري في قوله تعالى والسما ذات الرجع والمراد
بالسما الغمام والرجع المطر قال يسمى رجعا على عادة العرب في معتقدهم بدل معتقدهم
ان الغمام يحمل ما المطر من البحر ثم يرجع اليها فهو رجع الى الارض
بعدما اخذ منها مرة بعد مرة اخرى وذكر الواحدي انها انما سميت
رجعا لانها ترجع الى الارض مرة بعد اخرى وما ذكره الحكما وجهوه
بان كل ما على الارض من خشب وحجر وغبار ورصاص وحيوان
يصير ترابا ثم يعود خلقا جديدا وهكذا الى يوم القيمة قالوا
والفلك دوار وذكر المفسرون في قوله تعالى وارسلنا الرياح
لواقح

لواقح فانزلنا من السما ما فاسقيناكموه ان الله تعالى يرسل
الرياح فتلقح السحاب بالما كما يلقح الفحل الانثى قال اللغويون
واللواقح من الرياح التي تحمل الندا ثم تمجه في السحاب فاذا اجتمع
في السحاب صار مطرا وقيل انما هي ملاقح واما قولهم لواقح فعلى حذف
الزوايد قال ابن الجني فيا سر وارسلنا الرياح لواقح ملاقح لان
الريح تلقح السحاب وقد يجوز على معنى تلقحت هي فاذا تلقحت
تركت لقحت السحاب فيكون هذا مما اكتفى فيه بالسبب عن المسبب قال
اهل اللغة والريح العقيم التي لا ما فيها سميت عقيما لانها لا تلقح ولا
تنتج كالرجل العقيم والمراة العقيمة ويجوز ان يكون الريح تحمل البخار
الذي يخرج في الجو من البحر الملح الى الغمام فيلقحها به ويدل لذلك انك
تجد ما المطر في الغالب فيه ملوحة وانما يحلو من مجاورته البحر على
ما سبق وقد تشاهد البحار في زمن البرد تعلو من البحر الى الجو
وتتراكم حتى تصير في راي العين كالسحاب فتجري بالريح فيجوز ان
يكون بعض ما يشاهد من السحاب مطر كله وان الله تعالى يسوقه
الى حيث يشا ويجوز ان يكون المطر ينزل من السما كما ينزل منها البرد
قال تعالى وينزل من السما من جبال فيها من برد كما في الارض جبال من
حجر قال ابو الفرج بن الجوزي والبرد ينقطع قطعا كبارا وقطعا
صغارا قال ووقعت في بعض السنين بردة عظيمة فامتزلها
اقليم مصر فابين قال الكواشي في تفسيره من الاولى لابتدا الغاية
في قوله تعالى من السما لابتدا الغاية والثانية للتبعيض والثالثة
لبيان الجنس انتهى ويجوز ان يكون المطر ينزل من البحر المرتفع بين
السما والارض ويقال انه دايما يجري فيه ولولا هو لاحترقت

الارض نحو السما وذكر بعض الشيوخ فيه حكاية عجيبه
فقال ان بعض الملوك ارسل بازا اشهبا خلف طاير
فصعد الى الجو وجا بعد ساعة وفي رجله سمكة فجمع الملك
علما مملكته واستفتاهم عن هذه السمكة وانه هل يجوز اكلها
فافتوه كلهم بجواز اكلها وكان هناك شاب مشتغل بالعلم
وكان ابوه تاجرا ينفق عليه فضجر منه فتركه بلا نفقه وهاجر
الشاب الى طلب العلم فاقام في طلبه سنين ثم قدم فوجد
الملك والعلما مجتمعين والملك يستفتيهم في السمكة فلما افتوه
جميعا بجواز اكلها قام الشاب من بينهم وقال يا ملك هذه
السمكة حرام لا يجوز اكلها فقال ولم فقال لا اقول حتى تجعل
لي جعلا فجعل له عشرة الاف دينار فقال اعطوني الان منها
الفي دينار فاعطوه الفين فبعث بها الى ابيه وقال قولوا
ان ابنك سافر ببضاعة فباع منها بالفي دينار وهي
الى الان لم تنفق ثم قال للملك ان بين السما والارض بحر
لا يناله الا البازات الشهب وروى فيه حديثا وان سمكه
سم قاتل وانت لما ارسلت البازي ورا الطاير
خطف هذه السمكة من البحر فانظر شخصا يكون قد استحق
القتل فاطعمه منها فاحضر رجلا قد استحق القتل فاطعموه
منها فمات من ساعته فاكمل له الملك العشرة الاف
واكرمه وعظمه ومما يذكر وهو مشهور ان المطر ربما

امطرت

الضفادع

امطرت الضفادع في بعض السنين فيحتمل ان تكون هذه
من ذلك البحر ويحتمل صحة ما ذكره بعضهم ان الغمام يغترف الما من
البحر واذا اغترفه اغترف معه الضفادع والعلم عند الله تعالى
ومما يذكر وهو الصحيح ان الما في اعلا الصعيد يكون احلى منه في
اخر النيل سيما الذي يقرب من البحر الملح ولما ولي القاضي فخر
الدين بن مسكين قضا قوص من الصعيد وكان قبل قاضيا بابيار
انشد ابياتا منها والله لولا العار ما اخترت غير ابيار
ولكن الصعيد اعلى وماوها احلى والادنى فسار [?]
ومن المشاهد ايضا ان ما بعض الامطار احلى من بعض على نيل
فصل تقدم في الحديث ذكر الانهار الاربعة وتقدم الكلام في ن[يل]
مصر واما الانهار الثلاثة فذكر المسعودي انها جيحون وسيحو[ن] [?]
والفراة قال فاما جيحون فهو نهر بلخ فانه يخرج من اعين
فيجري حتى ياتي بلاد خوارزم وقد اجتاز قبل ذلك ببلاد الترمذ
واسفراين وغيرهما من بلاد خراسان فاذا ورد الى خوارزم
تفرق في مواضع هناك ومضى باقيه فينصب في البحيرة التي
عليها القرية المعروفة بالجرجانيه اسفل خوارزم ليس في ذلك
الصقع اكبر من هذه البحيرة ويقال انه ليس في العمران بحيرة
اكبر منها لان طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض يجري فيه

المدينة

السفن الى هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها
الحديثة فيها مسلمون والاغلب من الترك واما سيحان
فنهر الهند فمبداه من جبال في اقاصي الهند مما يلي بلاد
الصين من نحو بلاد التغزغز من الترك ومقدار جريانه الى ان يصب
في البحر الحبشي مما يلي ساحل البحر الهندي ثمانماية فرسخ قال
واما الفرات فمن بلاد قالي قلا من ثغور ارمينية من جبال
هناك تدعى ابو حسن على نحو يوم من قالي قلا ومقدار جريانه من ارض
الروم الى ان ياتي بلاد ملطية ويكون مقدار جريانه على وجه
الارض نحو خمسماية فرسخ وقيل اكثر من ذلك وكان الفرات الاكبر
من مايه ينتهي الى بلاد الحيرة ونهرها بين الى هذا الوقت وهو يعرف
بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهي وقعة القادسية
فيصب في البحر الحبشي وكان البحر يوميذ في الموضع المعروف بالنجف
في هذا الوقت وكانت تقدم هناك سفن الصين والهند ترد الى
ملوك الحيرة وقد ذكر جماعة ان خالد بن الوليد المخزومي لما اقبل
يريد الحيرة في سلطان ابي بكر من بعد فتح اليمامة وقتل الكذاب
ابن خيفه وراوه اهل الحيرة تحصنوا منه في القصر الابيض وقصر
القادسية وقصر بني نفيلة وهذه الاسماء لقصور كانت بالحيرة وهي
الان خراب لا انيس فيها وبينها وبين الكوفة ثلاثة اميال فلما
نظر خالد بن الوليد الى اهل الحيرة وقد تحصنوا منه امر العسكر فنزل
نحو النجف واقبل خالد على فرسه ومعه ضرار بن الازور الاسدي وكان
من

يون

من فوارس العرب فوقفا بحيال قصر بني نفيلة فجعل العباد
يرمونهما بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار اصلحك
الله ليس لهم مكيدة اعظم مما ترى فمضى خالد فنزل في معسكره
وبعث اليهم ان يرسلوا اليه رجلا من عقلائهم وذوي اسنانهم
يساله عن امرهم فبعثوا اليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان
ابن نفيلة الغساني وهو الذي بنى القصر الابيض فاتى خالد وله
يوميذ ثلاثماية وخمسون سنة فاقبل يمشي فنظر اليه خالد مقبلا
فقال من اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من صلب ابي قال فمن اين
جيت قال من بطن امي قال فعلام انت ويحك قال على الارض
قال ففيم انت لا كنت قال في ثيابي قال اتعقل لا عقلت قال اي
والله واقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال اللهم
اخزهم من اهل بلدة فما تزيدوننا الا عمى اساله عن الشي فيجيب عن
غيره قال لا والله لا اجيبك الا عما سالتني قال اعرب انتم ام
نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال احرب
انتم ام سلم قال بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها
للسفيه نحبسه حتى ياتي الحليم فينهاه قال كم اتى لك قال
خمسون وثلاثماية سنة قال فما ادركت قال ادركت سفن البحر ترفا الينا
في هذا النجف بامتعة السند والهند وامواج البحر تضرب

ما تحت قدميك وانظر كم بينهما اليوم وبين البحر ورايت
المراة تاخذ مكتلها فتضعه على راسها لا تتزود الا رغيفا
واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة وعماير متصلة واشجار
مثمرة وانهار جاريه وانهار غرقه حتى ترد الشام وتراها
اليوم قد اصبحت خرابا يبابا وذلك صنع الله تعالى في البلاد
والعباد فوجم خالد ومن حضره لما سمعوا منه وعرفوه وكان
مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل قال ومعه
سم ساعة يقلبه في يده فقال له خالد ما هذا معك قال سم ساعة
قال وما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندكم ما يسرني ويوافق لاهل
بلدي قبلته وحمدت الله تعالى عليه وان تكن الاخرى لم اكن اول من
ساق الى اهل بلده خزيا وبلاء فآكل هذا السم واستريح من الدنيا فانما
بقي من عمري الا اليسير قال له خالد هاته فاخذه فوضعه في
راحته ثم قال بسم الله وبالله بسم الله رب الارض والسما بسم الله
الذي لا يضر مع اسمه شي في الارض ولا في السما ثم اقتحمه فتجللته
غشيه وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم سري عنه وافاق
كانما انشط من عقال فانصرف العبادي الى قومه وكان عباديا
المذهب وهم النسطوريه من النصارى فقال يا قوم قد جيتكم
من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه واخرجوه
عنكم فامتثلوا امره وصالحوا خالدا رضي الله عنه على مائة الف
درهم وسباح ولبو الطيلسان فرحل عنهم قال المسعودي وانما
ذكرنا

الحلال
ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا من تنقل البحار وتنقل
والانهار على مرور الدهور والاعصار قال واما الدجلة فانها تخرج
من بلاد امد ديار بكر وهو اعني بلاد خلاط وبلاد ارمينيه وتصب
اليها انهار سويط وسابيد وما يخرج من بلاد اردن وميافارقين
ودميدر وغيرها من الانهار واذا خرجت الدجلة من نهر واسط تفرقت
على وجه الارض ثلثماية فرسخ وقيل اربعمائة هذا كلام المسعودي
وقد التبس على الامر فقيل نهر سيحون سيحان وجيحون جيحان وقد
اوضح ذلك النووي في شرح مسلم فقال قوله صلى الله عليه وسلم
سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة اعلم ان سيحان
وجيحان غير سيحون وجيحون واما سيحان وجيحان المذكوران
في هذا الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما من بلاد الارمن فجيحان
نهر المصيصة وسيحان نهر اردنه وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما
جيحان فهذا هو الصواب في موضعهما واما قول الجوهري في صحاحه
نهر سيحان نهر بالشام فغلط او انه اراد المجاز من حيث انه ببلاد
الارمن وهي مجاورة الشام قال الحازمي سيحان نهر عند المصيصة
قال وهو غير سيحون وقال صاحب نهاية الغريب سيحان وجيحان
نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس واتفقوا كلهم على ان جيحون
بالواو نهر وراء خراسان عند بلخ واتفقوا انه غير جيحان وكذلك
سيحون غير سيحان واما قول القاضي عياض ان النيل بمصر والفرات
بالعراق وسيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون ببلاد خراسان
ففي كلامه انكار من اوجه احدها قوله الفرات بالعراق وليست

العراق بل هي فاصلة بين الشام والجزيرة والثاني قوله كذلك سيحان
وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الاسما مترادفة وليس
لـ سيحان غير سيحون وجيحان غير جيحون باتفاق الناس الثالث
قوله انه ببلاد خراسان واما سيحان وجيحان فبلاد الارمن بقرب
الشام والله اعلم فصل في الفرق بين البحر والنهر قال الازهري
في التهذيب سمي البحر بحرا لاستبحاره وهو انبساطه وسعته وقيل
لانه شق في الارض شقا وجعل ذلك الشق لمائه قرارا وقال
في الصحاح سمي بحرا لعمقه واتساعه ويقال استبحر في العلم
وتبحر في المال اذا اكثر ماله والبحر الشق في كلام العرب ومنه قيل
للناقة التي كانوا يشقون اذنها بحيرة قال الزجاج كل نهر
ذي ما فهو نهر بحر قال بعضهم بشرط ان يكون جاريا كدجلة
والفرات والنيل وشبهها من الانهار الكبار فهو بحر واما البحر
الكبير الذي هو مغيض المياه فلا يكون ماؤه الا ملحا اجاجا ولا يكون
ماؤه الا راكدا واما الانهار فماؤها جار ويقال للبحر الصغير
بحيرة واما بحيرة طبريه فانه عظيم نحو عشرة اميال في ستة
ويقع البحر على الرجل الكثير المعروف وفرس بحر جواد كثير العدو
على التشبيه بالبحر والبحر الريف وبه فسر ابو علي ظهر الفساد
في البر والبحر لان الذي هو الما لا يظهر فيه صلاح ولا فساد
واما البحر المسجور الموقد لانه يروى ان الله تعالى يجعل البحار كلها
نارا فتزد في جهنم قال الله تعالى واذا البحار سجرت واما نهر

الحيوان

الحيوان فهو نهر في السما الرابعة روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور في السما الدنيا وفي السما
الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم عند طلوع الشمس فاذا
خرج انتفض انتفاضة خرت منه سبعون الف قطرة يخلق الله عز وجل من
كل قطرة ملكا يومرون ان ياتوا البيت المعمور يصلون فيه فيفعلون ثم لا
يعودون اليه ابدا ذكره الواحدي في تفسيره فايده المياه التي
تنزل من السما ثلاثة ما الثلج وما المطر وما البرد والثلج غير
الجمد فاعلمه فانه يلتبس على كثير من الناس ولا يفرقون بين الثلج والجمد
والفرق بينهما ان الجمد يكون ما مستقرا بالارض ثم يجمد من شدة البرد
واما الثلج فهو نداوة تنزل من السما وتجمد على ما يقع عليه من الارض
وقد ذكر القاضي مسيله يفارق الثلج فيها حكم الجمد فقال اذا اخذ
قطعة جمد فوجد فيها بعرة من داخلها نظر ان يكون الما الذي جمد
وفيه هذه البعرة قلتين او اكثر وقلنا لا يعتبر التباعد عن النجاسة
بقدر قلتين فان كانت البعرة تلقى وما حولها فالباقي طاهر طهور
وان كان الما الذي جمد وفيه البعرة دون قلتين فجميع الجمد نجس قال
وان وجدت البعرة في قطعة ثلج القيت وما حولها فالباقي طاهر
ووجه ما قاله في الثلج ان الثلج اذا نزل على البعرة جمد عليها وجموده
يمنع سريان نجاستها الى غير المجاور لها كالفارة تموت في السمن الجامد
فرع يخرج على هذا الاصل الما الذي ينعقد جوهره ملحا والما
الذي ينعقد نظرونا الصحيح انه طهور تجوز الطهارة به قبل انعقاده
اذا اذيب بما طهور فعلى هذا الوجه هذا الماورد اينا في الملح الذي

طاهر
انعقد منه بعوده ففيه الفصل السابق في الجمد فانه قلنا انه
لا طهور فجميعه نجس لانه له حكم المايع والمايع لو امتد فلا لا
ووقعت فيه نجاسة تنجس كله فصل واما الما الذي نبع من
الارض فهو ستة ما الابار وما الانهار وما العيون وما البحر
والما الذي ينعقد ملحا والما الذي ينعقد نطرونا والما المتقاطر
من بخار الما وما الابار منها ما هو عذب ومنها ما هو
خاسي تتكلم عليها الاطبا فحاصله ان المياه النازلة من السما
والنابعة من الارض عشرة وكلها يجوز بها الطهارة بلا خلاف
الا الما الذي ينعقد ملحا او نطرونا فانه فيه خلاف والمذهب
جواز الطهارة به والا الما المتقاطر من بخار الما فان فيه وجهان
الاصح جواز الطهارة به واذا انضم الى هذا الما النابع من اصابعه
صلى الله عليه وسلم صارت احد عشر واختلفوا في المياه التي في
الارض هل اصلها من السما ام خلقها الله تعالى في الارض على قولين
احدهما انه جميع من السما لقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما
ما فسلكه ينابيع في الارض والثاني ان الله خلقه في الارض كما
خلق ما السما فيها لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها
ماها ومرعاها وبعدها بمعنى قبل ذلك دحاها اذا كانت
الارض مخلوقة قبل السما وقد اخبر الله تعالى انه اخرج منها
ماها ومرعاها فتعين ان يكون الما مخلوقا فيها ومما يدل
على ان الارض مخلوقة قبل السما قوله تعالى قل اينكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب
العالمين

العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام سوا للسايلين ثم قال تعالى ثم استوى
الى السما وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طايعين فقضاهن سبع سموات في يومين وثم للترتيب
وقال بعضهم خلق الله تعالى الارض اولا ثم خلق السما ثم دحى
الارض بعد ان خلق السما وقبل خلق الله تعالى زمردة خضرا كغلظ
السموات والارض ثم نظر اليها نظرة العظمة فاماعت فصارت
ما فمن ثم ترى الما دايما يتحرك من تلك الهيبة ثم ان الله تعالى
رفع من البحر بخارا وهو الدخان الذي ذكره في قوله ثم استوى الى
السما وهي دخان فخلق السما من الدخان وخلق الارض من الما والجبال
من موج الما فصل لا كراهة في استعمال شي من المياه عندنا
في الطهارة وغيرها الا في ستة احدها الما المشمس ثانيها وثالثها
الما الشديد الحرارة وشديد البرودة ورابعها ما ديار ثمود
يكره استعمالها الا بير الناقة لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه
وامر بان تكفا القدور ويطرح العجين الذي عجن منه وديارهم
في طريق الشام من مكة قال الله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل خامسها ما قوم لوط روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه
تحت مداينهم فاقتلعها من الارض ورفعها بجناحه الى السما ثم
قلبها بهم فاتبعوا بالحجارة قال الله تعالى فلما جا امرنا جعلنا عاليها
سافلها وامطرنا عليهم حجارة قيل كان مكتوب على كل حجر اسم صاحبه
وكان شخص منهم بالحرم فوقف حجر بين السما والارض حتى خرج من

الحرم فوقع عليه فمات ولما خسف بقرا اهم بقي موضعها بركة عظيمة ما وها منتن وهي باقية الى هذا اليوم في طريق الشام قال عز وجل وانها لبسبيل مقيم يعني طريق سادمها
بئر برهوت روي انه صلى الله عليه وسلم قال خير بير في الارض بير زمزم وشر بير في الارض بير برهوت فيها ارواح الكفار فاذا كانت هذه شر بير في الارض كره استعمالها وبالقياس على ديار ثمود ولوط عليه السلام لان ارواح الكفار تعذب حيث كانت وانما تعذب للغضب عليهم فالتحق مكان تعذيب ارواحهم مكان تعذيب اجسادهم
وبرهوت بفتح البا الموحدة والرا المهملة وبالتا المثناة فوق في اخره بير بحضرموت وقد ذكرها في الصحاح وذكر الحديث الا انه لم يعين مكانها واختلفوا في استعمال ما زمزم فمذهبنا انه لا يكره استعماله في شي من الطهارات كساير المياه لانه صلى الله عليه وسلم توضا منه لكن قال ابو الفتوح العجلي في نكت الوسيط والوجيز الاولى ان لا يتطهر به لحرمته وكرامته وقد روي عن العباس رضي الله عنه انه قال لا احله لمغتسل ولكن هو لشارب حل وبل والبل بكسر البا الموحدة وباللام الشفا اي هو حلال وشفا للشارب بلاء من مرض اذا اشفى وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا شرب ما زمزم قال

اللهم

اللهم اني اسالك علما نافعا ورزقا واسعا وشفا من كل دا وقال صلى الله عليه وسلم ما زمزم طعام طعم وشفا سقم واما استعماله في ازالة النجاسة والاستنجا فنقل في الكفاية عن الماوردي انه لا يجوز استعماله ولا استعمال حجارة الحرم في الاستنجا والصحيح خلاف ذلك وذهب ابو حنيفه الى انه لا يجوز استعماله في الطهارة مطلقا ودليلنا عموم الادلة وان النبي صلى الله عليه وسلم توضا منه ولانه يودي الى جواز التيمم مع وجود الما ولان حرمة ما زمزم ان كانت لاجل انه نبع من الحرم فينبغي ان لا يجوز استعمال مياه ابار الحرم وان كانت حرمته لكونه طعام وشفا فالما الذي نبع من اصابع النبي صلى الله عليه وسلم افضل من ما زمزم وفيه من الشفا ما ليس في ما زمزم ومع ذلك فقد توضات به الصحابه رضي الله تعالى عنهم ولا حجة في قول العباس رضي الله عنه لا احله لانه محمول على حالة احتياج الناس الى الشرب بقوله لا احله لمغتسل اي في حالة الاحتياج الى الشرب لان الغالب التزاحم على الشرب
واختلفوا في الما الذي يوجد وقت السحر على الزرع فقيل لا يجوز به الطهارة لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس دابة في البحر تتنفس وقت السحر فهو ليس من جنس المياه بل هو ملحق بالورق حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفيه ويشهد لهذا القول

ومليت

ان المجربين ذكروا ان هذا الما اذا جمع في وقت البحر منه ببضة قد فرغ ما فيها وضمت بشمعة ونحوها ووضعت في الحمام فاذا احست بالحرارة صعدت الى السما بنفسها فهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض ويشهد له ايضا ان هذا ليس بما الملح ولا برد ولا مطر والله اعلم قال صاحب الملتقطات ومنهم من جوز الطهارة به لانه ما ولانه لم يتحقق مجيه من نفس تلك الدابه واما بحر الملح فيجوز منه الطهارة بلا كراهة لقوله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته هذا مذهبنا ونقل البغوي في سورة التكوير عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو انهما قالا لا تجوز الطهارة بما البحر لانه غطا جهنم ونقل ذلك ايضا الدارمي في الاسنادكار عنهما وعن سعيد بن المسيب لا تجوز الوضو بما البحر قال وعن قوم انهم قدموا التيمم عليه وخيروا بينهما وعن قوم انه يتوضا به عند عدم غيره ومما يدل على ان البحر غطا جهنم قوله تعالى اغرقوا وادخلوا نارا لان الفا تدل على التعقيب فاقتضى ذلك ان دخول النار استعقب الغرق وقوله صلى الله عليه وسلم ان تحت البحر نارا وان تحت النار بحرا الحديث وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الحبيب الامين وعلى اله وصحبه اجمعين تم الكتاب والحمد لله المجيد الفعال

[stamp]